الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين



صاحب كمر

تقديم الدكتور داود سلوم

صاحب كمر

الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين

مطبعة الشعب ـ بغداد

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ٣٣٦
لسنة ١٩٧١

تقـــديم

فـي العـــراق كانـــت مدرســـة الـــرصافي والزهـــاوي مـــوءذنـــة بظهـــور الادب الحـــديـــث وهمـــا فـــي بـــدايـــة اليقظـــة الفكريـــة والاصطـــدام الحضـــارى مـــع الغـــرب تقـــوم علـــى التعبـــير باللغة القديمة المتخففة قليلا من اساليب الماضى عن مظاهر الحياة الحديثة والاكتشافات التى بدأت تظهر فى اواخر القرن التاسع عشر والعشرين فالقطار والساعة والسيارة وكرة القدم والطيارة كلها ظواهر ومشاهد جديدة استرعت انتباه الشاعر كموضوع جديد ، وليس كتجربة انفعالية.

فالشاعر الحديث فى مدرسة الزهاوى والرصافي بقي يصف ما هو خارج عنه دون انفعال اصيل او عميق فالمدح تحول الى الاعجاب بزعماء السياسة وكبار المفكرين والادباء والهجاء تحول الى اعداء الامة والاستعمار ، والوصفه كما قلنا تحول موضوعه من البعير الى السيارة او القطـار

وهكذا ما زال الشاعر اذن فى هـذه الفترة شاعرا قديما استبدل العمامة بالسدارة والوقوف على الطلل بالوقوف على ملعب كرة القدم او بناء مدرسة ! فالجديد ليس بجديد حقا واخذت هذه المدرسة ايضا الافكار التى استحدثها الغرب وابتدعها فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفلسفة وحاول رجال المدرسة نقل هذه الافكار كما هي بعد ان اظهروا حماسة لتبنيها لا لانها صالحة كل الصلاحيـة لعصرنا بل لانها حديثة منتسبة لاوربا نشرت عنها المجلات بحوثا وقرأ فيها الشعراء كتبا مترجمة .

ولهذا فقد وقع الشاعر فى مأزق نفسى فى هذه المدرسة فهو ابدا يوازن بين الواقع اليومى وبين الواقـع النظرى الذى حصل عيه من المجـلات والـكتب ـ فعكس ادب مدرسة الزهاوي والرصافي شعورا حزينا متألما ظنا منهم ان على المجتمع ان يقفز الى الامام قفزا مستجيبا لافكارهم ودعواتهم دون النظر الى واقع التطور اليومى فى الكيان الاجتماعي وانتهت هذه المدرسة بموت الزهاوي والرصافي وغالبية تلامذة المدرسة الـكبار كالشبيبي والبنـاء أو بانحسار هذه المدرسة الى التكايا والمـدارس الدينيـة والمناسبات او الصمت بسبب السن وتبدل الايام .

وظهرت المدرسة الحديثة فعلا ، التى عانى فيهـــا الشعراء الحياة الحديثة ثقافة ومعيشة ودراسة وشـــعرا واطلاعـــــا •

وهذه المدرسة تضم كافة التيـــارات المختلفـــة فـــى شعرنا المعاصر من حيث العقيدة او المعالجة فى الموضوع أو التطور فى الشكل •

ونحن لا نريد ان نتكلم عن الفـــروق الـــكبرى بين تفريعات مدارس الشباب الحديثة وانمـــا يهمنا في الواقع معرفة الموضوعات المشتركة والخصائص المجتمعة •

شارك اغلب شعراء هـــذه المدرسة الحديثة الثانيـــة فى التجديد بالشكل ويختلف الشعراء من شاعر الى آخـــر في مقدار هذا التجديد فمنهم من هجر القافية الموحـــدة ومنهم من هجر البحر الواحد ومنهم من خرج على عـــدد تفعيلات البحر الواحد ومنهم من سقط فـــى النثر وكتـــب نثرا مركزا تغلب عليه الصور البلاغية • غلـــب على شعراء الفترة من حيث الموضوع ثلاثة اتجاهات الجانب الذاتى الرومنتيكى والجانب الاجتماعى التصويرى والجـــانب السياسى القومى او الديمقراطى واختلف الشعراء ايضـــا فى تغليب اتجاه على اتجاه الى موضوع معين اكثر مـــن

الاتجاه الى موضوع آخر من خلال هذين الطريقين — الشكل والموضوع وطبيعة المعالجة في الشكل اوالمضمون — يمكن ان تحدد خصائص كل شاعر على حدة بمقدار اثره الشخصي وقوة شخصيته وتكامله او بمقدار اعتماده على الآخرين وخضوعه لاثرهم عليه •

وبذلك يمكن ان احدد خصائص شعر يوسف عزالدين بسهولة ويسر بالنظر الى الشكل ، فهو تقليدى فى بحوره فى الغالب ، مجدد في قوافيه • لغته انيقة ، فيها ظل المعنى القديم وجزالة التركيب اللغوى المتماسك •

مضامينه تتراوح بين الشعر الذاتى والشعر السياسى وغلب فى شعره الذاتى الغزل على التأمل العميق او الفلسفة الحزينة او المتفائلة فالشاعر ، شاعر حب حسى مادى ، انفك من قمقمه الضيق فى المجتمع المحافظ الى رحاب مفتوحة واسعة فى القاهرة والاسكندرية ولندن والمدن الاخرى فى الشرق والغرب ، يصطاد بشباكه وخلال مهارته الخاصة به ما يستطيع من اللقاء من ساعات من النشوة واللذة المحرقة ولا تبغى منها غير لوعةعشق فرتر أو اشواق رفائيل• فتركت النسوة اثرهن فى شعره •

اما الشعر السياسى فغلب عليه ما غلب على جيله من

الشعراء موضوع الصراع السياسى بين العرب والاستعمار ويفتقد الشاعر الشعور الاجتماعى والمعالجة للموضوعات الاجتماعية فهو فى شعره بعيد عن العالم ملتفحول نفسه، ينظر من حين الى حين الى البيئة التى يعيش فيها ويواكب مشاكلها فانى اختلف مع الأستاذ صاحب كمر فى كتابه «الرؤية الشعرية» في تفسيره لشعر يوسف عز الدين

فقد حاول المؤلف ان يفسر شخصية الشاعر يوسف عز الدين تفسيرا جديدا من حيث تناوله غرض «الغزل» في شعره ٠

فقد عرض السيد صاحب رايا جديدا انتهى فيه الى ان شعر الغزل عند يوسف لا يمكن ان يتوجه الى المرأة، وانما احاله الى رمز للارض التى انبتته واحتضنته ٠

الرأي قد يصدق على قسم من النماذج الشعرية في شعر الشاعر وقد يصدق ايضا على كل شاعر آخر وليس الامر قاعدة خاصة بشعر الدكتور يوسف عز الدين كما اراه ٠

ولكن ماذا نفعل بالشعر الغزلي الصريح الذى تخصص باسماء نساء واضحات المعالم او اللواتى تركن وراءهن عطرهن وخصلهن فى القصيدة وعيونهن كعيون

المها مصورة فى ادب الشاعر ؟

أما المسألة الثانية التى حاول ان يعرضها لنا كـ.اـب الدراسة هى مسألة الالتزام فى شعر الشاعر . وهذا امـ ـر بديهي فعصرنا عصر صراع سياسى بين الامم وشعر الشا‌ء ان هو الا انعكاس لجيله وزمنه وعصره وكيف يمكـ لانسان ان يحيا فى عصرنا دون ان يلتزم ؟

هاتان ملاحظتان تشيران الى ما فى الكتاب مـ ـن امتداد فكرى اعتمد عليهما المؤلف فى كتابة موضوعاته .

ارجو له الموفقية ، كي يساهم فى دراسـات اخـرى خدمة للادب الحديث والمعاصر .

الدكتور داود سلوم
كلية الآداب ــ ١٩٧١

كلمـــة ..!

ليس غريبا ان تقول انشعر الدكتور يوسف عزالدين ما هو الا غناء للمرأة التي يحبها ، وما هذه المرأة الا الارض معشوقته ، او ان الارض والمرأة كلاهما نداء الخيروالتفتح في قلبه فراح يرضع من خيرات ارضه ويتوسـدها ويرنو اليها فتحتويه طفلا يافعا ترضعه وتسـقيه فيمضى كالطير مغردا عازفا الحانه ملمحـــا بالشكوى او منفعلا بها باثا ما يعتمل في نفسـه من اشواق واحزان يرسم رؤيته في هذا الجانب او ذاك ..

والامثلة في الشعر العربي الحديث تفصح عن نفسها للمتروي الباحث .. حتى في الشـعر الشعبي باتت الكلمة الشعرية تفسر نفسها او تعطي حيويتها بشكل رقيق متدفق، والشاعر حينذاك يعني ما يقول فعنـــدما يترقب الحبيب حبيبه ولا يفي بوعده يصفه بالغـادر مرة وبالكذاب مرة اخرى .. انما يعني ان الكذب جناية ومحنـة .. ثم يظل

الامل يراود النفس بالامان ، الصحو .. واذا تأملنا قصيدة « يا ريحان » لمظفر النواب ، يبدو عمق الشاعر واضحا في اشواقه فهو اذ يقول :

وردود اگلك يمتــــه ؟؟
اشگد رازقي ونيمتــــه
املني يـا اســـمر بيك ،
كـل عمري انگضــه واملته
حته خيالـك بالحلم
خـايف يجي وامنتـــه

. . . . .

حنيــة يـا چـذاب منك .. مـا شـفت
من ظني كظك بالحلم .. عنبر فحت
من ردت اجيسك جست روحي وفرفحت

. . . . .

شيضرك .. بكل الشته الولهان ، لو صحوة مطر ؟
والشته كله اتعده والگيظ هم أتعده
شجاب العشك ؟! وشوده ؟!
لا بالمحطة رف ضوه .. لا خط اجانه من البعد
لا ريل مر على الســده

والشته شال شليله من يمنا عبر
واسألته عنك •• يا شته العشاك ••
مـا عنـدك خبر ؟
لك يا شته العشاك ما عنـدك خبر ؟؟
والگيظ اجانه وانگضه ورد انگضه
ورد گيظ اجـه
والزلف هجرك فضضه ورد فضضه ،
ومـا مش رجـه

أما الشاعر الشعبي شاكر السماوي فانه يتمثل هذه الصورة بشكل آخر فحنينه الى ارضه الى دنياه يتمثل في تلهفه الى حبيبته فهو يقول في قصيدة «جيت اوجبت» :

من رفة جفون المحب
من ضحچة اتراب اللعب
من شهگه اسنين الجرح
من نسـمة ورود الصبح
جيت وجبت لاهل الملح
شوگ او فوانيس او جرح
جبت الگلب•• شايلني واللهفة تدولبني على طول الدرب
او كلما اذب اعله الدرب خطوه او أمل ••

يطول على شوگي الدرب
شانه المحب يستكبر افراگ المحب
جيت او جبت .. كل ذاك شوگي اليبه ضحت
واللي على هروشه اسهرت وتمرمرت

• • • • •

تلك هي امثلة .. ويتمكن اي ناقد أدبي مطلع ان يتتبع هذه الناحية في الشعر العراقي الحديث وفي الشعر العربي ليستخلص منه هذا النحو للتوجه نحو رؤيا شعرية جديدة نرسم فيها حاجاتنا الانية والبعيدة ..

وعندي ملاحظة اخرى للقاريء فانني من دون ان ادري امتزجت عندي صورة الرؤيا الشعرية عند الشاعر مع صورة الرؤيا الحياتية خاصة في القسم الاخير من الدراسة ، ذلك انني مزجت النثر بالشعر فتكاثفت الصورتان في صورة واحدة ..

صاحب كمر
آذار ١٩٧١

الفصل الاول

« ان الشعراء لا يقرضون الشعر
بدافع الحكمة بل بدافع من
عبقرية والهام ٠٠ »

سقراط

المواجهـــة :

حين اندمجنا في التاريخ بعنف بـدأنا في طريق نحو حياة نستكمل فيها شأننا ، فلم يكن امامنـا سوى ان نضع ادبا وان نرى رؤية نعمل على تجسيدها بالمواقف الانسـانية الرائعة ، بالحب ، بالتضحية ، بالعمل ٠٠ بتسجيل المواقف الوطنية والارتفاع بمسـتوى الانسان ككل ٠٠ ومهما تصارعت الاتجاهات الادبية فانهـا تتمخض نحو استكمال النقص ٠٠! آما كيف نواجه هذا النقص ٠٠؟ هل نواجهـه بواقعية التفاوت بين الضعة والبطولة ؟٠٠ فهذا حلم الفقراء

لحياة الامراء ..؟

أم ان الحوار والنماء هو الطريق نحو النظام الادبي الذي نريد ؟..

ذلك تساؤل عام نريد به الوصول الى لون محدد من الادب الا وهو الشعر ..وليس الشعر بذاته ، بل الرؤية الشعرية للشاعر المتوجه نحو سفر طويل يوسف عزالدين .

ومهما اضطرمت الاشكال الشعرية في ايامنا هذه من تكابر وتفاوت ، من خروج وتمرد . غير انه ربما يطل علينا زمان نرى هذه الانواع الشعرية طريقا من الطرق الى نهضة شعرية وادبية صالحة للنماء والازدهار ..

أي انه كما يقول سارتر : « ان الشر لا يمكن ان ينجي بنفسه »[1]

ومهما وضع هؤلاء الشعراء تبريراتهم لفوضى الشعر هذه فان ذلك « ضروري لضوء النهار »[2] كما يقول سارتر ايضا .

---

١ ــ جون بول سارتر ــ ما الادب ــ ترجمة محمد غنيمي هلال ص ٢٥١

٢ ــ نفس المصدر ص ٢٤٩

الشاعر امام الوعي

وهكذا حتى نأتي على شاعرنا .. الذي حافظ على البناء الشعري القديم ، مع تجديدات قليلة في القوالب الشعرية الا انه ظل في طريقته، البناء من اجل البناء، او كما يقول عنه انور الجندي « لان يبني بناء راسخ الامكان المستقبل العربي »[٣] « بل عليه ان يسير ليبني من جديد »[٤] كما يقول عنه انور الجندى ايضا ، وليس البناء من اجل الهدم كما في اتجاهاتنا الشعرية المعاصرة ..

غير ان النتيجة هي رؤية الشاعر وتأمله للحياة ، لعظمتها ومهزلتها .. يعيشها عن وعي وادراك ..!!

فما هي مواقفه ..وما هي وجهته ؟..

نقول ان الحيرة والقلق ، السمو والطموح !..

اجل الحيرة العظمى والحزن العميق !..

المبادىء الاولية التى تشارك الوعي كي تمنح الشاعر اشتراكه في الوجود !!

ولكن تظل الاماني تهفو وتظل الحياة تجري ،

٣،٤ ــ انور الجندى ادباء ومفكرون . دار الارشاد بيروت ١٩٦٧ ص ٢٩١ ــ ٢٩٢

ويظل الانسان مناجيا لها : حائرا منتظرا حدوثها وامانيه تدور !.. او كما يقول هو :

« سامرت احلامي فهل تتحقق ؟.. »

لكن براعم العطاء تنبثق ، وينابيع الزهو تتناوب !..

اين هي الحياة، اين هي الدنا!.. ايتها الربوات ..ايها الافق !.. ايتها الدنيا الخابية .. اين انا منك ؟.. اين جندك .. اين ثوارك .. الى اين مسيرتك !.. خذيني هناك ، احرقي روحي ، افتحي ضياء لظلامنا القمري البارد ، فاعماقي تغلي !.. ورؤياي تنطلق !..

وانفتح الافق !.. اهتزت بشائره .. وحاكى الشاعر نفسه هل استطيع ؟..

وتأمل مفاتيح الحياة ، وراودته الحيرة من جديد ، بدأت تصارعه ، فالابواب مغلقة ، روائح الصخب تثير الحواس ،غير ان عنفوان العمل يهز ، يقود الى هناك ..

ايتها الشواطىء الخضر .. ايها الانسان .. ايها الحب !.. كيف .. كيفه !.. وانطلق يدمدم في حرقة .. التجربة :

وكأني بالشاعر يقول : لا تقسوا .. لا تظلموا ..

وينطلق مغنيا بعد لهاث حاد :

غــدا الاقي حبيبي واشتكي اوصـــابي
واشرح الشــــوق شعرا بهينمات عــذاب
فــلا تلمني اذا مـا بـاح الغرام بمـــا بي
قــد ضاع عمري هباء وضــاع حلو الشبـاب
يــا نور طـابت حياتي بعد السنين الكوابي

• • • • •

غـــــدا اغني حبيبي بأعــذب الالحــان
واتتشـــي من جمـــال تنشه العيـــان
غــدا لقـــاء ربيعي وباسمات الامــــاني
انــا غريبـان لكن شرابنـــا من ســراب

• • • • •

اتــت وماســـت جمـالا بحسنها وصباها
وكنت مثل نمير صفــا وطـاب ميـاهـــا
والموج يغفو سعيدا من نســمة وسراهـــا
هــاج الغـدير هيـاما من بعدهـــا ونواها
تجــاهلت مـا بقلبي ومـــا درت بعذابي

• • • • •

يــا قلبي رفقـا بشـوق الست ترحم حــالي
لا تــأمنن فتـــاة غرتـك بالاقبـــال

اياك والحب قلبي وآسرات الدلال
فليس في الغيد أمن من دون رشف رضاب

• • • • •

يا نور هذه جراح حبيسة في الفؤاد
هذا انين فؤاد جفاه حلو الرقاد
لا تغضبي ان تشكي فما له من رشاد
اياك يا ليل هذا صراخ جرح الفؤاد
غدا لديك رهينا رفقا بحق الشباب

• • • • •

ذلك شعر الشاعر ، تتجلى فيه الحيرة وتتوارد خواطره ورؤاه مبثوثة هنا وهناك •• والشاعر يعد نفسه، يمنيها•• النفس المحرومة ، المشحونة بالحزن الملتصقة التصاقا بجذورها الحقيقة •• فانت تراه يناجي الآمل والمنى مرة •• والسراب مرة اخرى •• ليس هذا وحسب وانما اسم محبوبته هو السراب بعينه :

« انا غريان لكن شرابنا من سراب »

وفي مكان آخر يتمثل :

او ما تشجيك انغام الهوى يا سرابي قد كفاني المي
كلما جئتك اشكوك الجوى كنت في عينيك كالمتهم

او انه يقول :

يا الهـي طفـح الشـوق وجنـت صبواتي
أتناست ساعة اللقيا وطيب الذكريات ؟ !
فاذكريني (يا سـرابي) فعسـى تصفو حياتـي

« على ان هناك من الصور ما يخفي ادراك مضمو
الشعوري حين يعتمد تشكيـل الصورة علـى المخزو
اللاشعوري لدى الشاعر • وفي هذه الحالة يكون مـ
الخطأ التعامل مـع الصورة علـى اساس دلالتها الظاهـ
المباشرة ، ويتحتم بذل المجهود لاستكناهها• » (٥)

فهو أذ يقول :

هل تعلمين •• ؟ أم تجهلين • من تلك ملهمتي الحنون
هي •• غنوة اللحـن الشـرود ولهفة الوجـد الحزين
هي •• ان جهلت محلها •• في القلب •• ما بين الجفو
هي كالنسيم العذب تعشقه قلوب الظامئين
هي جـدول مـن فتنـة
ينساب من ثغـر الفتون

---

٥ ـ دكتور عزالدين اسماعيل ـ التفسير النفسى للاد
دار المعرف بمصر ١٩٦٣ ص ٩٢

ي نشوة الحسن الوديع
بيل رقتها الحنين ...

ومعنى ذلك ان الشاعر يحمل في ثنايا نفسه صورا
خرى من الحب والعواطف والالام والمشاعر الاخرى
ني انه من دون ان يدري راح يتحامل على الفتيات في
صورة فتاته التي هجرته ، فيتوجس خيفة من مكرهن
خداعهن ، فهو كالمتنبي عندما قال :

من خبر الغواني فالغواني
ضياء في بواطنه ظلام

وقوله ايضا :

ولا تحسبن عهد الحسان مقدسا
فان فتاة العصر ليس لها عهد

لانه في قرارة روحه لا يستحق هذا البعاد ، وهو
المحب الواله .. بل انه ثمرة ذلك المجتمع الذي يؤمن
بهذه الابعاد الحريص عليها .. لانه قديما احس الظمأ في
صحراء الحب وعاني من ضياع الامل والخوف من هجر
الحبيب ، الذي ترقبه العيون وتتفحصه .. فيندلع
مكبوتا عارما ، يتمنى اللقاء ويهفو نحو الذكريات :

عربد الشوق وجنت صبواتي
وتلظيت اسى من نزواتي

يترامى الشوق منهار المنى
نادبا نجواه بين الامنيات
يا هناءات فؤاد هائم
كنت في اللقيا ربيع السماء
ان اطيافك نجوى سمري
ونعيم سال من دنيا حياتي
جئت اشكو من جراحات النوى
عازفا لحني بآهات الوتر
فاملئيها غصصا الحاننا واعصفى
فى قلب صب ما غدر
واغرقى فى ذوب لحن سحر
فجريح القلب بالشوق انفجر
لحنك النشوان ينبوع الصبا
فى جديب العمر لحن الشفق
باحت النجوى بحلم واله
فى فؤاد بالاماني مغرق
وغدت انفاسه ضاحكة
بعد أن عاش بحزن مطبق

فاحفظي كأس الهوى فارغة

فعسى ليلاى يوما نلتقى

بهذا النحو يشكو ، يتألم ، بل يبوح بما تجود به نفسه فينشر خيالاته ويؤكد انفعالاته .. وبذلك فانه يفصح في مقدمة رحلته قائلا :

« نموت وانا اعتمد على نفسى كل الاعتماد منذ سني الثامنة ، وفيها علمت معنى الالم وفهمت الهموم والاحزان .. وقد صنعت تاريخ حياتي بيدى كدا ، وحفرت مستقبلي في الصخور دون عون من قريب أو مساعفة من صديق وانا اشعر بالرضا والغبطة لاني لم أترك انسانا يمن علي ماديا او معنويا ، سوى اساتذة العلم وقادة الادب والفكر ورعاية والدى ـ رحمه الله ـ وحبه لي » (٦)

انه يواجه الحياة بالرغم من الهموم والاحزان :

انا لم اسأل الحياة هموما

فعلام الهموم تملا حياتي

انها مواجهة ملهمة ، وتولع رائع ، بل رسوخ ثابت

---

٦ ـ يوسف عزالدين • من رحلة الحياة • منشورات دار البصرى ١٩٦٩ ص ٤ـ٥

بهذه الارض المعطاء ومحاولة منه لاحتواء العوالم الكلية وتجسيد الرؤى الانسانية بشكل مفرح ومـؤلم في آن واحد .. « ان غنى الشعر ليس على قدر غموضه كما يرى هؤلاء الذين لا يميزون بين العمق والغموض غير أن الغنى والغموض يتولدان من كثافة التجربة الحية التى يريد الشاعر ان يعقلها عبر وعيه » (٧)

فنتج صراع بين الذاتية والموضوعية ، بين القديم والحديث ، بين الماضى والحاضر .. بل من الممكن ان يكون هذا الاتجاه بعيدا كل البعد عن السمو والارتفاع.. فالذين اشاروا الى المأساة هم الذين تمثلوها ، ومن ثم هزلوا بافتخار ! ...

أما مواجهة شاعرنا للحياة ورؤياه فهي الصدق هي الآمال التي تراوده أن يعتبر تيهًا في صحراء الضياع والتيه .وقد أحس بهذه الغربة وهو بعد في دور المراهقة ، حيث يقول « ودخلت متاهة الضليل فى بيداء الفاقة الروحية باحثا عن نسمات حنان واطياف عطف لاسد بهـ جوع الروح وسغب الاحساس . » (٨)

---

٧ ـــ مجلة شعر بيروت العدد ١ شتاء ١٩٥٧ ص ٩٠

٨ ـــ من رحلة الحياة ص ٥

انه تائه مجروح في بيداء عقيمة خالية من كل دفء وخصب .. غير انه تمكن ان يدير عجلة أيامه فيجعل من نفسه انسانا في التاريخ ومن أجل التاريخ، اذ يرينا صورا متتابعة وافكارا متلاحقة .. فتتجلي شخصيته هنا وهناك فكأن ميكانيزم ما أثر فيه فجعله يرنو الى هذه الناحية او تلك منطلقا من أرضية فكرية يستوحى فيها دنياه التي هي حبيبته آنا ومآربه واحلامه آنا اخر .. ومن يقرأ حسناء من أبردين تتمثل له هذه الصور والانطلاقات والمعاني :

ان أيامي الحبيبة كانت
لذة الحب في هوى مفتون
يوم كانت بعاتقي تتدلى
بدلال وغبطة وجنون
غضت الطرف ثم قالت : حبيبي
يا منى النفس يا حنين الحنين
انت في الحلم والحياة سميري
وأمان لقلبي المجنون
وأرى طيفك الحبيب يغني
كل يوم بساحرات اللحون

. . . . . .

انا اهوى بلادك السحر فيها

يتجلى بقلبي الوهاد

والعذارى يمسن في ضحكة البدر

ويخطرن من هوى الندمان

يا حبيبي خذني اليها فاني

سوف اشدو باعذب الالحان

وسأغدوا على الرمال كئيبا

تتغنى به شفاه الاماني

. . . . . .

ضمني للحريم سلطان قلبي

لست اخشى بالشرق سجن الحريم

اولسنا مع النجوم سكارى

وانا فى ركاب خدن كريم

يا حبيبي الى صحارك خذني

ثم ذرني وحيدة للنجوم

سوف اشدو للشرق اجمل لحن

عبقري الروي والتهويم

انه لا ينفك مرتبط شديد الارتباط بماضيه حتى :.

فتاته تنطلق معه تتحمل الامـه وعذاباته .. فنيأخذها الى اي مكان يشاء فهي لا تخشى سجن الحريم ! .. فالشاعر اعطانا صورة واضحة عن نظرة الغرب الى الشرق .. ومن ثم انطلق يروي الصور الاخرى عن بلاد السحر والجمال .. بلاد الف ليلة وليلة .. ومن ذلـك فان هـذه الحبيبة الغريبة ترضى به صديقا كريما .. وانهـا سوف تشـدو للشرق اجمل لحن . ومع انه يعطي فكـرة المزاوجـة الحضارية ، الا انه في الحالتين ذلك الذي يعشق هـذه الارض ويهيم بها .. ويذكر ماضى امته وازدهارها فعشق فيها كل شيء في صورة المرأة .

الغربـــة :

انه ما اغترب الا ليشدو ذلك اللحن الذي يريد .. عانى الاغتراب من اجـل ان يعـود للارض خصبها ! .. ومهما تكن الغربة فانها مؤلمة تشـد الانسان للعودة .. حدثني صديق يصف غربته ، عندما وقف على نهر الدانوب يتأمله وكأنه دجلة .. نـزل اليه وضع يديه فيـه ، لعب كالطفل بين امواجه ، خاطبه : أنت نهر العطـاء ! .. اذا كنت دجلة فاين اهلك .. اين بسماتهم .. اين اناشيدهم !.. اين نخيلك الباسقات .. لا لست انت ..

يقول: ثم خرجت عابسا متألما اكاد اختنق من الألم
علـى اثرهـا ابتسمت لـه فتـاة فاخذها واختفـى ..
أما الشاعر فهو الآخـر صور وقفته على الدانـوب وعنى
رؤاه الشـعريه :

يا حبيبي عـلام قـد غبت عنـي
مـرة نلتقـي علـى الدانـوب
وتغنـي بصـوتك الحلو لحنـا
واغنيـك بالقصيـد الطـروب
وحـدنا نمـلأ الحيـاة ابتهـاجا
كالسكارى نتيـه بين الدروب
بضحك القلـب والحيـاة تغنـي
وتهيـم الامـواج مصطفقـات
موجـة غبطة تعـانق اخـرى
وتـذوب الامـواج بالقبلات
قـد تركنـا همومنا وأسـانا
وولـدنا لساعة فـي الحيـاة

اما نداؤه واكتشافه لقنوط العالم وغربته فيه فيتجلى
في انشاده حب وطنه العميق وتعلقه بكل مظاهر الحياة
فيه وليس اجمـل من النخيل والمياه :

يا لنـــدن طال الفـراق وليلـه
يا ويـــح ساعات التفـرق لندن
قلب على سعف النخيـــل مرفرف
ويهزني نحـــو النخيـــل الموطن

. . . . . .

حييت يـا وطنـــي العزيز تحيـــة
انا ذلـك الصب الغريب المـؤمن

اما تبريره لهذه الغربة فيقول :

وما عن هوى قد جئت لندن طالبا
ولكن قومي يستزيدون في الذكر
يقولون فيها كـل ما يطلب الفتى
من العلم والعرفان والفضل والفخر
ومن جـاء منها بالشهادة ظـافرا
هو العلم الهادى ولو جاء بالكفر
ولو انصفوني في بلادي لما رأت
عيوني هاتيك البقاع مدى الدهر

الفصل الثاني

الشاعر والالتزام

ثم نعود لنتساءل من جديد : هل ان الشاعر يوسف عزالدين عندما ينظم شعره يقصد فردا بالذات ، ام انه يتمثل صورا عديدة في نموذج واحد كما كان ارجوان الذى لم يكن فى شعره فردا من الافراد ، حتى الزا رفيقة عمره كانت صورة اخرى لوطنه .. ؟ أجل يبدو ذلك ايضا ، اذا تتدفق ذاتيته بغرام او شوق او حنين او وطنية فان ذلك يعطي بالتالي مسحة شاملة لما هو موضوعي وملتزم .. فسرابه وليلاه ، وشهرزاده ، واحسانه وتيناه ، وبالتالي حواره مع مي ، وحديثه الى الدانوب ، وترانيمه كلها ما هي الا نداء داخلي وحث منسق من اجل ان ينتشر الضياء وتعم الفرحة ..

وما حديثه مع شهرزاد الا نداء آخر وعشق مفتون لار، ، العربية الكبيرة وآمالـه العريضة :

لا تلومي شهـريارا في الهـوى
لم يجـد فـي حبه مـن ناصـر
وارفقـي في شـاعر تؤلمـه
ذكـريات ما مشت فـي خاطـر
قتلـت انغـامـه غـادرة
واماتـت أمنيـات الشاعـر
وسـقته كأسهـا طافحـة
وتلظـت بالزعـاف الغـادر
قلبـه الشـرقي مـا اخضعـه
لغـرام فـي الاماني فاجـر

تلك حكايته يسطرها او ينشدها .. فلم يجـد له من ناصر .. فانغامه تريد قتلها غادرة لتميت امنياته الطالعة ، فتحول دون تحقيقها ، غير انه يستمر بلهاث حـاد ليبرر التزامه الشعري بمضمون آخر حيث يتأمل خرائب الزهراء فيبدد حضوره صمت السنين الخوالي فتنطلق ترنيمته :

من خطاه مجفلات جاءني يسعى غريبا
بدد الصمـت الرهيبـا !

ـم يذر دهري حبيبـــا
من أتاني بعد أن صرت ركاما وحجارة ؟
عبثت أيدي زمان غارة ، اتبع غاره
حاسد يبغض رمزا كان فـي الحب مناره

⊙ ⊙ ⊙

كنت رمز الامل العذب وهمسات الامانى
جبل القدس شموخا ملأ الدنيا حناني
قد غرسنا لهم الحب بانغام حواني
فسقونا غصص البغض بتدمير الحيـاة
من أتاني زائرا بدد صمت الحسرات ؟!

ثم انه يستمر :

انا لو استطع قد سرت على الاجفان من شوقي العميق
وزرعت الحب أزهارا على طول الطريق
ابيض السحر كنور اللوز كالثلج الحقيقي
هكذا الحب اذا ما كان من قلب صدوق
خالـدا مثـل خلـودك
ساحرا سحر نشيـدك

ويتضح التزامه ايضا في قصيدة غرناطة :

غرناطـة التاريـــخ ذا شجـن
نحيي يديـــك فادمـعـي غـزر
ولألـــيء الاحبـاب ان نشـــرت
ما ما زهـــا الياقوت والـــدر
وصحائف التاريـخ قد خجلـت
مـــذ ضـاع منـا المجـد والفخر

انه يبغي القصد ويسعى اليه •• باسلوب الغزل او باسلوب التفجع والغربة وشحذ الهمم مرة اخـرى انه يواصل المسيرة بالرغم من كل العقبات •• ليرى في حضارة زاهية وقومه يحاولون ان يعيـدوا للد اصالتها وبهجتها •• ! ••

ان هذه الشكاة والآلام والصور ذكرى حبيبة م ذكريات امته رسمها الشاعر وتوله بها •

المراة والارض :

أما ركضه وراء المرأة وتعلقه بها تعلقا شديدا بلهف ما بعدها لهفة •• ومن ثم خوفه من خيانتها وغدرها •

ان ذلك له تبريره ، فالحرمان من الحب ، بالفص بين المرأة والرجل احدهما يهفو نحـو الآخـر ، فير الحبيب من حبيبته ، من أن يستطيع آخر باسلوب ج

ن يغرر بحبيبته فيصل الى قلبها •• فتنطلق الظنون
الشكوك مما حدا بالشاعر أن ينطلق هذا المنطلق :

فذر الذكرى فذكراها سراب
واكتم الدمع ككتمان الشعور
ليس حفظ العهد من طبع الكعاب
انما غدر وصد وغرور

اما تغنيه بحنان المرأة ولهفته اليها لتحيطه وتسعده
فهو الحاجة الى الحب والحنان فهو يوضح «ما ارتويت
من حنان الابوين اذ كنت ابتعد عنهما لاكمال دراستي
طفلا ولم اقض معهما غير سنين محدودة ، كنت اركض
وراءهما في قرى ديالى فعشت مضطرب الروح»[9]
هذا يعني انه اتخذ المرأة طلالا طيبا ومرفأ يقف عنده ذابا
عن تعبه وعنائه•• وهو ما يريده الرجل الواعي من المرأة، أن
تكون انفتاحا سارا وشمسا مشرقة ودفئا لذيذا بل منحة
الهية •• فالنساء هن اللائي يمسحن عناء الرجال ، لا أن
يكن سببا في الهزيمة والاندحار وتلك هي المنحة السيئة••
ولكن هل يبدو ذلك صحيحا عندما يحدثنا بيتهوفن بهذا

٩ — من رحلة الحياة ص ٤

المعنى «الحب ليس غير الحب» هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة ، آه يا الهي ، دعني أجدها اخيرا ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلي ، تلك التى سمح لي أن تكون زوجتى » ••

أجل من الممكن ان يكون ذلك صحيحا ••• غير الشاعر يعطينا صورا عديدة من الفئات •• اما عن فتاة احلامه ، عن مرفأه الذى وقفه عنده ؟ •• فيبدو ذلك من أن جميع النساء اللائي تودد اليهن وتوسد صدورهن ، لم يكن الا رمز لتلك الارض التى يعشقها ويهيم بها •• يسعى لاجلها •• ! فصوره الشعرية اذن ما هى الا احلامه وامانيه ، فى خلقه محيطا من القداسة واعطائه معنى لكلماته فلا يعرف قيمة الكلمة اكثر من الشاعر !••

اما الدكتور داود سلوم فقد اعطى بعدا آخر لهذا الحب اذ يقول «فحبه اي حب يوسفه عز الدين — موزع بين حبه لهذه الارض التى انبتته واخرجته اخراجا طيبا وانضجت بشمسها وهوائها وترابها احساسه وشعوره فعبدها وبين حواء التى حنت عليه واطعمته عسل اللذة

مرارة الذكرى والم الفراق»(١٠) وهذا يعنى ان الدكتور داود سلوم فرق بين حبه للارض وبين حبه للمرأة وبذلك ابتعد تفسيره عن تفسيرى !!

وان اتفقنا فى الاساس الذهنى فاختلفنا فى التفسير اللفظـــي .

الــــلاذ :

ان الشاعر يعـانى رحلـة مستمرة .. انـه نموذج الانسان العراقى او العربى .. لكن رحلتـه بلا مرسـى ، يفتش عن الحل ، انها رحلة الغريب والاصرار علـى العودة ، ثم «يعيش قضايا امته فى فترتها الثورية التقدمية الراهنة»(١١) انه التجوال فى القاهرة والاسكندريـة ولندن للدراسة ، والسفر الى فرنسا وهولندة وبلجيك والنمسا ويوغسلافيا وبلغاريا واليونان وسويسرا وايطاليا والمانيا وتركيا وروسيا للزيارة والاطلاع ومعرفة التـراث الثقافى العربى والعالمى .. ليغنى الادب العربى وليظهـ

---

١٠ ـ د . داود سلوم ـ الادب المعاصر فى العـراق مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٢ ص ٢٠٣

١١ ـ خضر عباس الصالحـي ٣١ شاعرية يوسفه عزالدين مطبعة اسعد بغداد ١٩٦٣ ص ٣١

بقدار اهمية الاداة التى تنتجه . انه دائما ينشد الرحيل
ينهل صوره ويكتب اشعاره من اي دنيا ليكون ذكر
. تحربه «ان مهمته هى أن ينبهنا لحركة الوجود التـ
التقطتها القصدة . » (١٢)

ولكن الى اين الرحيل بعد ذلك .. ؟؟ انه التفتيـ
عن اللغز المنقود ، عن الحب الذى يرومه .. الحب الذ
فتش عنه توفيق الحكيم وقال فيه :

« انى احب الحب ... ربما كان الحب هو الشـ
الوحيد الجميل الذى نعيش فيه ومن اجله نحن البشر
آه لو كان القدر اعطاني هذه المنحة لحظة واحدة
وجعلنى أجد احدا يحبني حقيقة مرة واحدة .. انا الذ
اعتقد طويلا أن عظماء الرجال هم عظماء العواطف واقو
الرجال اقوياء العواطف . »(١٣)

فهل وجد شاعرنا من يحبه من يعيد تنظيم حواسـ
ليدفعه نحو العالم بشكل قوى ورائع ..؟..
وهل ظفر بتحقيق احلام امته ؟ غير اننا نسكت عـ

١٢ـ مجلة شعر العدد ١ شتاء ١٩٥٧

١٣ ـ توفيق الحكيم ـ زهرة العمر ص ٣٩ (كتاب الهلال

راب ـ فقد اعطينا ما تمكنا عليه فى هـذه الناحية ـ
رد فنرى كيف يترجم هذا الشاعر احساساته الشعريـة
واجهة ملهمة ودفاع عن سأم موروث عازفا ليالى السهر
اهـات :

كنت ارنو الـى الليـالى كئيبـا
فاراهـا تفيـض بالاجـرام
فبـدت ظلمـة الليالـي حبـورا
مـذ تعطفت فـى لقـا المستهام
والى صـدرك الحنـون خـذيني
حطمتنـي معـاول الايـام
وامسـحي رأسـي المشـوق برفق
سوف تشـفي يداك كل السـقام

ذلك هو الشوق الى الحنو والاحتواء .. فكيـف
شاعر الفنان ذي الطبع المرهف ؟ انه يطلب المزيد ...
لب دلالا اكثر وحنوا اوسع .. فما الرجل فى هـذا
مر الا طفل كبير وقد تمثل هذه الصورة ايضا شاعرنا
جواهرى فيما بين العشرينات والثلاثينات نختار بعضـا
نها فهى صورة اخرى من صور الشاعر الملتهبة :
ابسمي لي تبسم حياتى وان كان حياة مليئة بالشجون

انصفيني تكفري عن ذنوب الناس طرا فانهم ظلموني
اعطفي على شاعر حر رقيق يعيش عيش السجين
اخذتني الهموم الا قليلا ادركيني ومن يديها خذيني

• • • • • •

وافتحي لي الحديث تستملحي

• • • • • •

احمليني كالطفل بين ذراعيك احتضانا ومثله دلليني
واذا ما سئلت عني فقولي ليس بدعاً اغاثة المسكين
لست أماً لكن بامثال هذا شاءت الامهات ان تبتليني

• • • • • •

غير ان شاعرنا بعد ذلك يبدو خائفا غير مطمئن لانه لا يجـ
ـي الحياة مأمناً ومأوى فهل يوجد ظمان في مكان آخـ
اكثر احتواء ... الا انه يتألم فيتوجس خيفة :

انـا ان اخفيت جراحاتى ولـم
اتشـك الالـم المضنـي الحزين
خشـية أن تقتلينـي بالنـوى
فاقضي العمـر ما بين الشجون

ومن ثم لا يتمكن أن يخفي جراحاته فيهيم شوقاً

ى انهار وطنه وعيون أمته فيكني ويرمز بقوله :

أنــا ظمــآن لعينيــك فـلا
تشتكي ان بحث بالوجـد الدفين
لا تلومي كلمـا امعنـت فـي
فتنـة الطلعـة او سحر العيـون

ثم يظل ذلك الحائر المقضى عليه بالحيرة والتساؤل
فما ذا يفعل وهو المفتون المتعجب ، انه يريد اكثر .
ينهل من هنا ومن هناك ، يريد ترنيما تجرى النشوة منه
فى دمه الا انه يظل هو المتهم فى النهاية :

كلما جئتك اشـكوك الجـوى
كنت فـي عينيـك ... كالمتهم
انـا غـريدك بحـت غنـوتي
كيف اشكو بانفـراد مؤلـم

انها الرؤية الشابة والرفض الصارخ في آن واحد .
لمن يبث اشواقه ؟ .. للمرأة التىرسم فى كيانه عنها
الصور المعبـرة والاحاسيس الملونة .. انهـا روح كبيرة
ومرسى جميل .. انها دنيا واسعة وحنان ثر !! انها منحـة
خالدة قبل أن تكون جسما ولذة ...
غير انها لا تعترفه بصدقه هذا .. لا توليه ثقتها ..

فتتهمه •• وانها تصبح بالتالى غير كفوءة لحبه الكبير •• ولكنه بالاخير لا يستطيع ان يشدو ويغني بدونها ••

الا انه يظل ذلك الحائر الذى يريد أن يرحل الى حيث يجد مأمنه ومرتعه ، فيناجى ربة الشعر علها تنقذه •• عله يجد فى الشعر مفتاحا لهذه الحيرة المضطربة ، فيفصح عن جهاده وعزيمته مرددا :

اسعدينى ياربة الشعر أما
تعبت عزمتى وكلت جهودى
فلكم بات في الحياة ، وحيدا
من تحدى الحياة ، غير وحيد

ومن ثم يرنو الى وطنه الذى غادره ليعود اليه خالصا الا أن المشكلة جابهته من جديد •• الظلم والاستغلال ، انتهاك الحرمات واللعب بمقدرات الشعب، انه نداء ، يكشف ، يطالب :

كيف ننسى الكفاح من اجل مجد
كيف نرضى بذلة استعمار ••!!

اويقول وهو فى وسط الحضارة الغربية وترفها .

حييت يا وطني العزيز تحية
انا ذلك الصب الغريب المؤمن

لـم يلهني عنـك التمـدن لحظـة
كـلا فـانت العالـم المتمـدن
ان لـم تكن للحـر اكـرم موئل
فعلـى ثراك الحـر مـوت يكمـن
ويصف ما حاق بالامة العربية من تفرق الكلمة ويريد
عيما يلم شملهم :
ما بال يعرب قـد تشتتت شملهم
هـذا التفـرق بين قومـى مزمن
اومـا تشوقهم المفاخـر جمـة
فيجيء منهـم مصلـح متـدين
وينظر الى حال العرب فيذوب ألماً وحزنا على ارض
بـلاده .
ايـه بلادى ان شـعرى بالاسـى
والحزن والدمـع الغزير مـدون
آلامك الحرى تنـوح جريحـة
لـكن ارضـى للبطولـة مسـكن
ويطالب بكل صراحة ووضوح بالثورة على الذل
ثوري على هـذا الهـوان بعزمـة
فالموت فى سـاح المفاخر اهـون

ويهدد الاستعمار الجاثم على الارض العربية عندما
يخاطب ثوار الجزائر :

قسما بثورتكم وثورتكم سنى
للنصر فى الليل الطويل المظلم
انا واياكم فؤاد واحد
والويل للمستعمر المتحكم
انا اذا شخبت دماء جريحكم
لباه كل بنى العروبة بالدم
وانين رنات القيود سواجع
سمر السجين بكل حب مظلم
حفظ الحقوق وصان حق بلاده
من صان حق بلاده لم يندم

يخاطب الوطن العربى عندما يخاطب النيل :

رمصر فما يجدى الركوع
امام اقدام الصنم
حطم بثورتك القيود
وسر بركب السائرين
سخرت بذلتك العبيد
وبك استهان الماكرون

وقد ثار على حالـة المجتمع العراقي المتردية ورسـم صورة لاسرة فقيرة معدمة فقال :

هدها البؤس والشقاء فكانت
منظـرا للشـقاء والتنكيـد
وصغير من سكرة الجوع امسى
يرسل الصوت فى الفضاء البعيـد
ومسن قـد سار في العمـر حتى
صيرته السنون رهـن القعـود
وعجـوز تئـن جوعـاً وبنـت
تتلوى مـن العنـاء المبيـد
ايهـا الاغنيـاء عفـوا اذا ما قلت
للارض ايهـا الارض ميـدى

انها بداية الرفض والاجتماع على التفاوت الطبقي بين الفقراء والاغنياء .

الفصل الثالث

ميـــزة التجـديد

ان الشاعر يوسف عز الدين يستمر على هذا المنوال بالحس الموسيقى الشعري يعيش القصيدة بشكلها المعتاد يستثير العاطفة ويشحذ الخيال ، بشكل فني متماسك خال من الانفعال الكاذب ومن الحزن والبكاء ..

ولكن محاكمة صوره الشعرية يكشفه لنا مـــدى تعلقه بالنهج القديم وتطلعه نحو الحديث .. وهذا لا يعني ان الشعر القديم باوزانه وقوافيه قد استنفد مهمتـــه الاساسية ولابد للشعراء أن يبدأوا بشيء جديد آخـر ، وان الجديد هو هذه الموجة الشعرية الجديـدة .. التـي تبدو غريبة تقريبا او مبهمة ..؟

لا يبدو ان ذلك مطلق «وميزة التجديد التي يـدأب الناس في البحث عنها ليست في الجدة ولـكنها فـي الصدق. »(١٤)

ذلك هو رأي كبار النقاد والادباء.. ولكن التساؤل الذي يدور ، أن الشاعر الذي جاب الاقطار وعبر البحار ورأى من الدنيا ما شاء له ان يرى ، قرأ الشعر العالمي بلغة اصحابه ... ترى هل جاء بجديد ، هل اصطرعت عواطفه الجياشة ، فخلعت القديم وآذنت بالحديث !! هل أن الغريب الذي عاني الغربة وتحمل مرارتها ، ثم الفها بدافع كبير ، حاول ان يزخ على عالمه ما يكفي لانبـات حقل من الشعر الجديد قد يكون مبهماً في ناحية مفهوما في النواحي الاخرى .. فتبدو شخصيته في رمز او صورة تعيش وراءها تلك النفسية وهي تتساوق في خضم عات او موج هادىء ولكن تساؤلنا يستمر هل أن القصيدة كما تبدو أم أن هناك شيئا يتخللها ..؟ وهذا ما اجبنا عنه في مكان سابق .. ومن ثم فان ميزة الشعر ان يكون صادقا و «ان من واجب الشاعر أن يخلقه جـديدا ، وان يخلقـه

١٤ـ احمد امين ـ النقد الادبي ط ٣ ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٣ ص ٩٤

غريبـــا.»[15]

وهذا لا يعنى ان الشاعر ثم يشارك فى الحركـــة الشعرية الجديدة .. ولكن الذى يبدو انه كان من الاوائل فى هذا التجديد بالابتعاد قليلا عن المألوف الشـــعرى التقليدى ، يبدو ذلك فى قصائده : من انت ، الحلم فات، وقصيدة ايها النيل ، وهمسة الذكريات ، وقصيدة الاوتار الرعشاء التى تعود الى سنة ١٩٥٣ حيث يقول فيها :

انـــا ... !

من انـــا ...؟!

لا تسأليني من أنا ؟
قد كنت مثل الحب مثل شبابنا
الشعر يشدو غنوتى
نغما يموج بحبنا
انا همسة الاحزان وقعها الدغنى
وعلى رنين الحزن
فى افق السحابة مرنا ..
هنا يتساءل الشاعر وليس بدافع حكمة ، بل بالهام

١٥ـ احسان عباس ـ نقد الشعر ـ دار الثقافة ـ بيروت ط ٣ ص ١١٩

شعرى صادق .. بدافع الامتزاج والوعى .. وهكذا تنمو قصيدته ثم تكبر لتوءدى رسالتها او روءيتها أزاء الحيـاة الانسـانية .

اي انه يحاول ان ينطلق ليخلف جوا من الحـــب والتألف اينما مر واينما نزل ..

وتروح قصائده بعضها يأخذ قالبا تفسيريا وتقريريـا وبعضها الآخـر ينمو بشكل رائع ينشـر الطيـب وينفـث النسمات او يدفع الحياة نحو عنفوان جديد ..

ومن مميزات شعره ايضا والتى اشار اليها كل مـن مصطفى السحرتى وهلال ناجى ، الاقصوصة فى الشعـر «او لاقل أن الاقصوصة الشعرية عند شاعرنا هى قصـة مكتملة العناصر متماسكة الاجزاء ..»(١٦)

ومن اقاصيصه الشعرية على هذا الشكل «زاهيه من هامبورغ » و (حسناء من ابردين) و(انكليزية سـكرى!) وغيرهـــا ....

وليس ذنب الشاعر اذا ما فاته هذا الموج الشـعرى

١٦ـ مصطفى السحرتى ، هلال ناجى ـ شعراء معاصرون دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع القاهرة ١٩٦٢ ص ١٩٤

ت تجاربه فيه انما السر يكمن فى طموحه الى ان يخرق
حواجز ، وينطلق من ظلمات العصور لتنجاب الدنيـــا
ضحة كبيرة ..

ذلك أن طموحه وانفتاحه نحو الحياة كبل الشاعر من
يضيف لعالمه الشـعري تجاربا كثـيرة ورؤية واسعـة
لان انغماس الجامعين ــ كما يقول احمد امين ــ فــى
بحوث يجعل ذوقهم اقرب الى العلم منه الى الادب.»(١٧)

غير انه آمن بالحب واتخذه فلسفة وراح يعوض به
فقده من حنان المجتمع وبر الحياة ، وله امثله كثيرة ـى
ك .. ثم انه يقول على هذا الاساس :

« وما كرهت شيئا فى حياتى لان الكراهية مــــرض
تك بالنفوس ولا يحمل الحقد من تعلو به الرتب..»(١٨)
نه وجد نفسه اكبر من عمله كما يقول وهذا هو ســـر
نجاح فى نظرى عندما لا يشعر الانسان بالغرور ....

وقف والاصالة :

يروى عن الشاعر أن احد تلامذته سأله : عن كيفية
داد دراسة عن تأثير الزهرة فى الشعر الحديث ، فاجابه

١ــ احمد امين ــ النقد الادبى ص ٧٦
١ــ من رحلة الحياة ص ١٠

على الفور :

اكتب دراسة عن تأثير البندقية في الشعر الحديث !.. فهي انفع لامتنا في حالتها الحاضرة •

تلك هي نقلة سريعة عن رؤيا الشاعر •• وذلك مثال او موقف ، بل التفاته موفقة على شدة تعلقه بوطنه •

ولكنني ربما استطيع ان اوضح بعض الملامح والاشارات ووجهات النظر •• ولكنني لم اشر الى نقد شعره من ناحية العروض والقوافي كما اشار الى ذلك الدكتور عبدالله درويش»[١٩] •• الذي قام بعملية احصائية من أن الشاعر يستعمل بحر الخفيف والرمل والكامل والطويل اكثر من بقية الابحر الشعرية ••

كما انني لم اتعرض الى القافية او تنويع الروي واقسام القصيدة او فقراتها كما فعل الدكتور عبدالله درويش ايضا ••

ولكنني ذهبت مذهبا آخر ، عن تطلع الشاعر ، عن هواجسه •• ومهما كانت كمية شعره واسلوبه فانها

١٩ـ الدكتور عبدالله درويش ـ المضمون والاطار في شعر يوسف عزالدين ١٩٦٧

بالتالى تلقى ضوء وتعطى جوابا •••

غير ان ذلك تراث الشاعر يرثه للاجيال •• ومـــع أن المــوت هو المصــير ، هو الشــهادة النهائيـة •••ـ غير اننا حري بنا أن نحتفل بروادنا علـــى الـــدوام احياء فى دنياهم يقاسون ويعملون •• أم امواتا عند ربهم يذكرون ••؟ وهو من دعاة هذا الاحتفال :

« التكريم يجب ان يحس به الاديب حقاً وليسعد به ، وليزداد انتاجاً وليواصل خدمة شعبه وتقويم مجتمعه، ورفع مســتواه ••• »[1]

ان ذلك ما ستقوله الايام ويحكيه الدهر قصـــة للاجيـــال ••

ومهما يكن شعر يوسف عز الدين اذا تفاوت بين •• الناقدين وتقبله للبعض ورفضه من قبل البعض الآخر فانه تصور لعالمه الحقيقي بقدرة موفقة صريحة وهو شـاهد على ذلك العالم وظل استظل به الشاعر فدفع معاناته ، ودفع ضياعه بعيدا عن السقوط والانهزام والضجر ••

---

(١) مجلة الكتاب ١و٢/١٩٧٠ ص٣ مقال للشاعر •

وقد اعفانا الشاعر من أن نعايشه بالذات .. فعشنا قصائده وكأننا نحمل عذاباته وهمومه ونسوح مع دنيا اشواقه .. فهذه العواصف التي تجرى ، وهذه الانفعالات تغلي ، والهموم تتصاعد .. بل هذا الحب بكل ابعاده وسماته .. كل ذلك .. بشكل صارخ وعاصف .. عاصفته هى حياته ، ووعيه الذى يجسده هو صراعه الحاد ، ووجوده هو الشيء الذى يتشبث به ..

كل ذلك ينبثق من احزانه ، من متاعبه ، من صحراء ضياعه .. انه التفلسف المعلن، والرأي المطروح، والتمسك بما هو حتمى ، «فالشاعر يعطيك صورة روحانية اكثر مما يعطيكها التاريخ ، والشعراء عادة فى مقدمة قدمهم ، او فى جهتهم ، وقد يسبقونهم قليلا ، وهم عادة ايذان بالفلسفة وارهاص لها ، فهم يحدثوننا فى شيء ما الايهام عن حقائق الحياة .

فكان هو ميروس ارهاصا لسقراط وافلاطون وارسطو، وكان شعراء الجاهلية اوهاصا للنبوة»(٢٠) وهو بذلك ارهاص. فاذا كان الرصافى والزهاوى قد نقلا الشعر من القرن التاسع عشر الى العشرين فقد استمر شاعرنا ومهد بشكل من الاشكال

٢٠ــ النقد الادبى ص ٧٠

لشعر الحديث وللنهضة الادبية الحاضرة ..

واهذا فانني آميل ايضا الى رأي صالح جودت والذى سبقه الى ذلك احمد امين .. ومما يقوله صالح جودت «انه ـ اي يوسف عز الدين ـ شاعر غير متفرغ ، ولـ آن اسباب الحياة لانت له منذ صباه ولم تكلفه مشقة الكدح من اجل الرغيف ، لكان نصيبنا من شعره اوفر من هذا القدر بكثير ...»(٢١)

ذلك ان الوظيفة تعوق وتكبح القابلية وتترك الاديب اسير الروتين .. فلو لم يصبح شاعرنا استاذا جامعيا لكان شاعرا كثير الانتاج متحملا اوزار شعره من حاجة وضياع.. على ان الفرصة انعمت عليه فاعفته من تلك المسوءولية الكبيرة ومنحته وجودا جديدا وارهاصا لدنيا جديدة فهو الشاعر والاستاذ والناقد .. بل من خلال ذلك كله ينوء بالاحزان يتسربل بها ، ويدفع هذا العناء الكبير بابتسامة لدنه وترحيب عميق يدرأ بهما احزان العالم نحو فجر مضيء ودنيا عبقه .

ومهما تكن مجموعاته الشعرية فى قلتها فأنها حركة

٢١ـ يوسف عزالدين ـ فى ضمير الزمن ط ٢ مطبعة الرسالة ـ اقاهرة ـ ١٩٧٠ المقدمة ص ١٤

فى الوجود ورؤيا للزمن حيث يعزف الحـانه مواكبـ
المســـيرة ..

غير انه بالتالى كما يقول مصطفى السحرتي :

« ويكفينا من الشاعر موهبته واصالته ..»[٣٢]

استنتاجـات :

ليس من الممكن ان تعطي حكما قاطعا وتقييما حقيقيا للمجاميع الشعرية التى قدمها يوسف عز الدين .. لاننا نظرنا اليها من الناحية الرؤيوية .. اما اذا انبرى احـــد بالحكم القاطع فأن المؤلف يعرف مسبقا بأن النتيجة التى يأتى بها الناقد ليست حتمية باختلاف الاهداف والآراء .. واذا كان الشاعر قد قال الشعر واختار لنفسه موقفا فيه .. وانهاختار طريقا واحدا أن يقرأ للجميعوان لا يقلد احداء. فهو وأن كان احدهم غير انه ظل بعيدا عنهم .

ومعنى ذلك فانه بات غريبا حتى على نفسه لمحاولته اكتشاف العمق الانسانى .. ومرة اخرى انه حقق موقفا منفصلا فى الشعر عندما باتت جهوده تستثمر الانفتاحـات اخرى فراح خياله بعيدا عن مهمته الاساسية بســـبب

٣٢- مجلة الكتاب - بغداد - العددان الثالث والرابع سنة ١٩٦٤ ص ١٥٠

هذه العمومية ..

ولكن ظل يسجل اللحظات التى تستملكه من اللـذة والالم او الراحة والقلق والحزن والفرح .. لانها تثير فيه الدافع للحياة !..

أما ما هي الحياة التى يرنو نحوها ؟.. او بعبـارة اخرى اى نوع من الحياة تفترض هذه الروءية الشعريـة أن ينطلق من الاحزان ليعايش الافراح والسـرور مرة والهموم والمصاعب مرات عديدة .. ام انه يركن للهدوء والاســتقرار ؟

شعره تفوح منه النشوة، ولكنها نشوة قصيرة لذيذة.. وبالتالي تستمر الدوافع وتتكاثف . أما ابعـاد الشاعر .. فانه مشترك فى عالمه بدأ بمجموعة (في ضمير الزمن الحقها بمجموعة الحان .. ومن ثم «لهاث الحياة» وكـانت محتاراته .. «من رحلة الحياة..» كانتاج أخير ..

ولكن هذا لا يعنى أن رحلته تنتهي .. كما انـه لا يمكن للانسان ان يقول جميع الاشياء التى يعرفهـا مرة واحدة .. ولهذا فلابد أن يستمر لاستحضار مفهـوم للقيم التى بدأها ، وتكثيف خيالاته بالفلسفة التى يوءمن بها ، ويسعى نحوها ...

ان محاولته للاتفاق مع القيم الحياتية جاءت بشكل نفسي (سايكولوجي) منذ البداية بالرغم من معاناته للهموم والاحـــزان ..

فهو عندما يقول ابسم فانـه يتصدى للمصاعب الكثيرة ولكنه يتجاوزها بهذا الحب والخيال نحو المستقبل. مجسدا روءيته بقوله : «هي أن يكون الانسان عادلا بعيدا عن الاثرة يحب لنفسه ما يحب لاخيه .»[٢٣] وقد تطرقنا الى مفهوم الحب عنده وادرجنا النماذج الشعرية الكثيرة .

واخيرا فان يوسف عزالدين شخصية عراقية ادبيه .. منهم من اعتبره شاعرا فألف عنه .. ومنهم من اعتبره مفكرا وناقدا ومؤرخا ، فكتب عنه .

نظم الشعر فاصاب فيه .. ولكنه لم يستمر فيه للنهاية بسبب انشغاله بالدراسات الادبية والنقدية والقضايا الفكرية، فهو استاذ فى الجامعة ورئيس لجمعيـة الموءلفين والـكتاب العراقين وعضو فى المجمع العلمى العراقى اضافة الى مؤلفاته الكثيرة التي احصاها الاستاذ كوركيس عواد فـزادت على اثنين وثلاثين موءلفا[٢٤] .

٢٣ـ من رحلة الحياة ص ٩

٢٤ ـ كوركيس عواد ـ معجم الموءلفين العراقيين . المجلد الثالث ـ مطبعة الارشاد ١٩٦٩ ص ٤٨٠ ـ ٤٨٢

وبعد فانها دراسة سريعة مقتضبة لم يتطرق اليها باحث بهذا الشكل فقد ظن الكثيرون ان شعر الشاعر ليس الا غزلا مادياً بالمرأة نفسها وبجمالها ، ولكن الشاعر يمتلك ارادة وينتهك الغرابة بهذا اللون من الشعر فيمتص الالم والضجر بتغنيه بالمرأة وجمالها لانها صورة للوطن والتربه السمحة التي غذته ، وكيلايكون مكررا مملا اتنقل من واحدة الى اخرى وكأنه يغني الصورة نفسها ، وهو بذلك حقق لنفسه هذا الكشف الذي استطاعه ومارس هذه العذوبة فاستساغها .

فاذا اعتبرنا غزله ماديا وحسيا صرفا ، فيجب ان نعتبر غزل ابن الفارض وابن عربي والحلاج غزلا ماديا .. بالرغم ان الرجل ليس فيلسوفا ولكن له فلسفته .. لانه يمتلك القيم والعطاءات التى تمنحه هذا المساهمة الجادة ..!

فاذا تألم من جفاء المرأة فانه احساس انساني يشكي فيه جفاء الوطن ، وان تعلق بجمال المرأة فأن جمالها جزء من جمال هذا الوطن الغالي ، وان احبها فانه يرنو بحبه نحو تربته .. واهتمام الانسان بكل هذه الاشياء معناه اهتمام بالنفس ، وهذا الاهتمام بالنتيجة يؤدي الى توحيد النفس والاستجابة للرؤى ...

وللشاعر جوانب اخرى أتمنى ان يعنى بها دارس آخر كالجانب الفكري والفلسفي والنقدي في مؤلفاته الاخرى .

مصــادر البحث ..

ا ـ مجموعات الشــاعر :

١ ـ فى ضمير الزمن ط ٢ مطبعة الرســالة .. القاهرة ١٩٧٠

٢ ـ الحان دار الطباعة الحديثة بالاسكندرية١٩٥٣

٣ ـ لهاث الحياة دار العلم للملايين بيروت

٤ ـ من رحلة الحياة ـ منشورات دار البصــري بغــداد ١٩٦٩

ب ـ المصــادر الاخرى :

١ ـ مجلة شعر العدد (١) شتاء ١٩٥٧ بيروت

٢ ـ دكتور عزالدين اسماعيل ـ التفسير النفسى للادب دار المعارف ـ القاهرة ـ مطبعة الانجلو مصرية القاهرة ط ١

٣ ـ الدكتور عبدالله درويش ـ المضمون والاطار فى شعر يوسف عزالدين ١٩٦٧ بغداد .

٤ـ مجلة الكتاب العددان الثالث والرابع بغداد ٩٦٤
٥ ـ انور الجندي ـ مفكرون وادباء من خلال آثارهم
دار الارشاد ـ بيروت ـ ١٩٦٥
٦ ـ مصطفى السحرتى ، هلال ناجى ـ شعراء
معاصرون دار الكرنك القاهرة ١٩٦٢
٧ ـ احسان عباس ـ نقد الشعر ـ دار الثقافة
بيروت ط ٣
٨ ـ الدكتور داود سلوم تطور الفكرة والاسلوب
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٥ •
٩ ـ الدكتور داود سلوم ـ الادب المعاصر فى
١٩٣٨ ـ ١٩٦٠ ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٢؛

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ببغداد ٣٣٦ لسنة ١٩٧١

محتويـات الكتـــاب

كتب للمؤلف فى طريقها للنشر

١ ـ عمق العالم (مجموعة قصص)

٢ ـ رؤيا العصر (دراسات تحليلية ادبية)

٣ ـ المحاويل (تاريخ)

Yousif Izzidien

and his

poetical vision

by

Sahib Kumar

Yousif Izzidien

and his

poetical vision

by

Sahib Kumar

C/O
Iraq-Academy
Baghdad

بواسطة المجمع العلمي العراقي